



جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد



(لو) في القرآن الكريم معانيها وأغراضها

دراسة تفسيرية

إعداد

د. محمد حسن عادل عبد القادر

مدرس التفسير وعلوم القرآن، قسم أصول الدين، كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥ هـ
يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي I.S.S.N ٢٩٧٤-٤٦٦٠ و The Online ISSN ٢٩٧٤-٤٦٧٩



(لو) في القرآن الكريم معانيها وأغراضها دراسة تفسيرية

محمد حسن عادل عبد القادر

مدرس التفسير وعلوم القرآن، قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedabdelelkader.4@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث أداة من الأدوات التي يحتاج المفسر أو طالب التفسير معرفة معناها وهو يطلب فهم القرآن الكريم وتفسيره، وهي حرف (لو)، يتناول البحث تلك الأداة من حيث بيان مدلولها ومعانيها وأغراضها، والمواضع التي وردت فيها (لو) دراسة تفسيرية موجزة.

وقد خُصَّ البحث إلى أن (لو) إذا كانت شرطية فهي حرف امتناع (الجواب) لامتناع (الشرط)؛ أي: امتناع تحقق جوابها لامتناع تحقق شرطها، وأن ذلك مُطَرِّدٌ فيها سواء كان شرطها ماضياً أو مضارعاً.

وأن (لو) في كلام الله سبحانه وتعالى أتت لأغراض سامية؛ منها ذكر الحقائق بالأدلة الدامغة، ومنها الرد على الشبهات والمزاعم الباطلة، ومنها الحث على تدارك ما فات وإصلاح الأخطاء، ومنها الاعتبار بما فات الآخرين ليتجنبه المخاطبون واللاحقون، ومنها الإعلام أن ما لم يفعله الله كان لحكم ومنافع، ومنها الإخبار بأمور غيبية لا تصل إليها عقولنا وأراد الله تجليتها لنا.

أما إذا كانت (لو) مقولة على السنة الكفار أو المنافقين فإنها ليست لتقرير الحق أو هي التي تفتح عمل الشيطان من ادعاءات أو حسرة ليس فيها تدارك ما

فات أو لتمي ما لا سبيل إليه، وغالبا ما يعقبها رد الله عليهم بإبطال مزاعمهم. وأما إذا كانت (لو) مسبوقه بالواو العاطفة على محذوف تقديره: (على كل حال) أو (في كل الأحوال) فإن (لو) هذه خرجت من أن تكون حرف امتناع الجواب لامتناع الشرط إلى كونها تفيد أن الحكم المذكور قبلها ثابت في كل الأحوال حتى في الحال التي تُكرت معها (لو).

و(لو) إذا لم تأت شرطية فإنها مصدرية، وعلامتها أن يصلح موضعها (أن) المصدرية، وإنما عبّر بـ(لو) ولم يعبر بـ(أن) ليدل على أن الكلام بعدها ممتنع التحقق وهو ما تفيدته (لو). وتأتي (لو) المصدرية بعد الفعل (وَدَّ) ومشتقاته. وتأتي (لو) مذكورا جوابها وهو الغالب، وتأتي محذوفا جوابها لظهوره، أو لقصد التهويل ولتذهب النفس في تصويره كل مذهب.

الكلمات المفتاحية: لو، الشرط، جواب الشرط، الامتناع.

(Lu) in the Holy Qur'an, its meanings and purposes, an interpretive study

Muhammad Hassan Adel Abdel Qader

**Lecturer of interpretation and Qur'anic sciences
Department of Fundamentals of Religion, Faculty of
Islamic and Arab Studies for Boys in Cairo, Al-Azhar
University, Egypt.**

Email: mohamedabdelelkader. 4@azhar. edu. eg

ABSTRACT:

This research deals with a word that the interpreter or student of interpretation needs to know its meaning as he seeks to understand and interpret the Holy Qur'an, which is the word (lu). The meaning of (lu) is the word (if) in the second and third cases. The research deals with that word in terms of explaining it, its meanings, purposes, and the places in which (lu) appears, a brief interpretive study.

The research has concluded that (lu) if it is a conditional, it is a word of abstention (the answer) due to abstention (the condition); That is, its answer did not occurred because its condition had not occurred, and this is true whether its condition is past or present.

And that (lu) in the Holy Qur'an came for important purposes; Among them is stating facts with clear evidence, among them is responding to suspicions and false allegations, among them is urging people to make up for what has been missed and correcting mistakes, among them is taking a lesson from what others have missed so that those addressed and those

who follow will avoid it, among them is informing that what God did not do was for wisdom and benefits, and among them is informing about unseen matters that our minds do not reach. To her, God wanted to reveal her to us.

However, if (lu) is a saying on the tongues of unbelievers or hypocrites, then it is not to establish the truth or it is what opens the work of Satan of claims or regret that do not entail correcting previous mistakes or to wish for what is impossible, and it is often followed by God's response to them by invalidating their claims.

However, if (lu) is preceded by the conjunction (and) which is connected to the deletion of its predicate: (in any case) or (in all circumstances), then this (lu) is not a word of abstention from the answer due to the abstention of the condition, but rather it indicates that the predicate mentioned before it is fixed in all cases, even in the case mentioned with (lu).

And (lu) if it does not come as a conditional, then it is in the infinitive, and its sign is that its place is correct (that) in the infinitive, but it is expressed with (lu) and not expressed with (that) to indicate that the speech after it is impossible to verify, which is what (lu) indicates. The infinitive (lu) comes after the verb (wad) and its derivatives.

The conditional (lu) comes with the answer to its condition mentioned, which is the predominant one, and it comes with its answer omitted for the sake of knowledge of it, or for the purpose of exaggeration and to indicate that its answer has many difficult forms that cannot be expressed in one phrase.

Keywords: if (lu), the condition, the answer to the condition, abstention.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسان،

وبعد؛

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي جمع للإنسان كل شيء يحتاجه وينفعه ويسعده، هو الهدى والنور وهو الدواء والشفاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ - النحل: ٨٩-، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ - الإسراء: ٩-، وقال الله تعالى: ﴿كُنْتُ أَنزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَذَّبُوا عَابَتِهِمْ وَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ - ص: ٢٩-، وقال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ - الإسراء: ٨٢- . وفي صحيح البخاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، وفي صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين»^(٢)

(١) صحيح البخاري ٢٣٦/٦ رقم ٤٧٣٩ كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. عن عثمان -رضي الله عنه-.

(٢) صحيح مسلم ٢٠١/٢ رقم ١٨٤٩- [٢٦٩-٨١٧] كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه. عن عمر

وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب الجامع، وسخر له من العلماء من يخدمه ويبيئه حتى نتعلمه ونعمل به ونُعَلِّمه، فمنهم من فسر، ومنهم من بين علومه وأدواته، في جهود قيمة عظيمة، ومن تلك الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ليتعلمها وهو يطلب تفسير القرآن الكريم حرف (لو)، ذلك الحرف الذي يدل على امتناع جوابه لامتناع شرطه، ويخرج عن ذلك المعنى إلى استقصاء الأحوال والتمني والمصدرية، و(لو) له من الأغراض القيمة والفوائد ما له، فأحببت أن أتناول هذا الموضوع بالبيان.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث؛

المبحث الأول: (لو) الامتناعية؛ وفيه:

المطلب الأول: التعريف بـ (لو). المطلب الثاني: أغراض (لو) الامتناعية.

المطلب الثالث: حذف جواب (لو). المطلب الرابع: مجيء (لو) الامتناعية للمستقبل.

المبحث الثاني: (لو) الشرطية غير الامتناعية.

المبحث الثالث: لو للتمني.

المبحث الرابع: (لو) المصدرية.

ثم الخاتمة والنتائج. ثم المصادر والمراجع.

وأسأل الله التوفيق والقبول، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، والحمد لله رب

العالمين



المبحث الأول: (لو) الامتناعية

وفيه المطالب التالية:

- المطالب الأول: التعريف بـ (لو).
- المطالب الثاني: أغراض (لو) الامتناعية.
- المطالب الثالث: حذف جواب (لو).
- المطالب الرابع: مجيء (لو) الامتناعية للمستقبل.



المطلب الأول: التعريف بـ (لو)

(لو) حرف من حروف اللغة العربية، تأتي شرطية لتفيد امتناع تحقق جوابها لامتناع وجود شرطها، أو امتناع وجود شرطها وأن وجوده كان يستلزم تحقق الجواب، وهذا هو الأصل فيها، وتأتي لمعان أخرى، وردت في القرآن الكريم كثيراً، وذكرها العلماء في الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ليتعلمها وهو يطلب تفسير القرآن الكريم.

أولاً: معنى (لو)، وإفادتها امتناع جوابها لامتناع شرطها.

قال الإمام سيبويه: " وأما (لو) فلما كان سيقع لوقوع غيره. " (١)

وقال الإمام السكاكي: " و(لو) لنحو الشرط في الماضي على امتناع الثاني

لامتناع الأول، كقولك: لو جاء زيد أو يجيء لأكرمته. " (٢)

وقال الإمام الأشموني: " اعلم أن لو تأتي على خمسة أقسام: ...

الخامس: أن تكون شرطية وهي المرادة بهذا الفصل، وهي على قسمين: امتناعية، وهي للتعليل في الماضي، وبمعنى إن وهي للتعليل في المستقبل، فأشار إلى القسم الأول بقوله: (لَوْ حَرَفٌ شَرْطٌ فِي مُضِيِّ) يعني: أن لو حرف يدل على تعليل فعل بفعل فيما مضى، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها، ويلزم كون شرطها محكوماً بامتناعه، إذ لو قدر حصوله لكان الجواب كذلك، ولم تكن للتعليل في الماضي بل للإيجاب فتخرج عن معناها، وأما جوابها فلا يلزم كونه

(١) الكتاب ٢٢٤/٤

(٢) مفتاح العلوم ١٢١

ممتنعاً على كل تقدير لأنه قد يكون ثابتاً مع امتناع الشرط، نعم الأكثر كونه ممتنعاً، وحاصله أنها تقتضي امتناع شرطها دائماً، ثم إن لم يكن لجوابها سبب غيره لزم امتناعه، نحو: ﴿ وَكَوْنًا لَرَفَعْتَهُ بِهَا ﴾ - الأعراف: ١٧٦-، وكقولك: لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً، وإلا لم يلزم نحو: لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً، ومنه: (نعم المرء صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)؛ فقد بان لك أن قولهم (لو) حرف امتناع لامتناع فاسد لاقتضائه كون الجواب ممتنعاً في كل موضع وليس كذلك، ولهذا قال في شرح الكافية: العبارة الجيدة في (لو) أن يقال: حرف يدل على امتناع تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه، فقيام زيد من قولك: (لو قام زيد لقام عمرو) محكوم بانتفائه فيما مضى وكونه مستلزماً لثبوته لثبوت قيام عمرو؛ وهل لعمر وقيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له لا يتعرض لذلك، بل الأكثر كون الأول والثاني غير واقعين انتهى. وعبارة سيوييه: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وهي إنما تدل على الامتناع الناشئ عن فقد السبب لا على مطلق الامتناع، على أنه مراد العبارة الأولى: أي: أن جواب (لو) ممتنع لامتناع سببه وقد يكون ثابتاً لثبوت سبب غيره. " (١)

وقال الإمام الصبان: " قوله (حرف امتناع لامتناع) هذه عبارة الجمهور، والمشهور أن المراد بها امتناع الجزاء لامتناع الشرط أي: أن الجزاء منتف في الخارج بسبب انتفاء الشرط في الخارج. " (٢)

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٤/٧٥، ٨١، ٨٢، ٨٣

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٤/٥٢



وقال الإمام الزركشي: " (لو) على خمسة أوجه:

أحدها: الامتناعية واختلف في حقيقتها؛ فقال سيبويه: هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ومعناه: كما قال الصفار: أنك إذا قلت: لو قام زيد قام عمرو، دلت على أن قيام عمرو كان يقع لو وقع من زيد، وأما أنه إذا امتنع قيام زيد هل يمتنع قيام عمرو أو يقع القيام من عمرو بسبب آخر؟ فمسكوت عنه لم يتعرض له اللفظ.

وقال غيره: هي لتعليق ما امتنع بامتناع غيره.

وقال ابن مالك: هي حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه.

وهي تسمى امتناعية شرطية ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ -

الأعراف: ١٧٦ - دلت على أمرين:

أحدهما: أن مشيئة الله لرفعه منتفية، ورفعه منتف؛ إذ لا سبب لرفعه إلا المشيئة.

الثاني: استلزام مشيئة الرفع للرفع؛ إذ المشيئة سبب والرفع مسبب.

وهذا بخلاف: (لو لم يخف الله لم يعصه)؛ إذ لا يلزم من انتفاء (لم يخف) انتفاء

(لم يعص) حتى يكون خاف وعصى؛ لأن انتفاء العصيان له سببان: خوف العقاب،

والإجلال وهو أعلى، والمراد: أن صهيبا لو قُدر خلوه عن الخوف لم يعص للإجلال،

كيف والخوف حاصل!

ومن فسرها بالامتناع اختلفوا؛ فقال الأكثرون: إن الجزاء وهو الثاني امتنع

لامتناع الشرط وهو الأول؛ فامتنع الثاني وهو الرفع لامتناع الأول وهو المشيئة.

قال ابن الحاجب ومن تبعه كابن جمعة الموصلي وابن خطيب زمكا: امتنع

الأول لامتناع الثاني؛ قالوا: لأن امتناع الشرط لا يستلزم امتناع الجزاء لجواز إقامة

شرط آخر مقامه، وأما امتناع الجزاء فيستلزم امتناع الشرط مطلقاً. (١) وقال: "واعلم أن تفسير سيبويه لها مطرد في جميع مواردّها؛ ألا ترى أن مفهوم الآية: عدم نفاذ كلمات الله مع فرض شجر الأرض أقلاماً والبحر ممدوداً بسبعة أبحر مداداً، ولا يلزم ألا يقع عدم نفاذ الكلمات إذا لم يجعل الشجر أقلاماً والبحر مداداً.

وكذا في نعم العبد صهيّب فإن مفهومه أن عدم العصيان كان يقع عند عدم الخوف ولا يلزم ألا يقع عدم العصيان إلا عند الخوف وهكذا الباقي. وأما تفسير من فسرها بأنها حرف امتناع لامتناع وذكر لها هذه الأحوال الأربعة فلا يطرد؛ وذلك لتخلف هذا المعنى في بعض الموارد؛ وهو كل موضوع دل الدليل فيه على أن الثاني ثابت مطلقاً؛ إذ لو كان منفيًا لكان النفاذ حاصلًا، والعقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفذ مع كثرة هذه الأمور فلا أن تنفذ مع قلتها وعدم بعضها أولى.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ - الأنعام: ١١١-، وكذا قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعْتَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ - الأنفال: ٢٣- فإن التولي عند عدم الإسماع أولى، وأما قوله: (نعم العبد صهيّب لو لم يخف الله لم يعصه) فنفي العصيان ثابت؛ إذ لو انتفى نفي العصيان لزم وجوده وهو خلاف ما يقتضيه سياق الكلام في المدح. (٢)

تعقيب: وأرى أنها حرف امتناع لامتناع (امتناع الجواب لامتناع الشرط) على

(١) البرهان في علوم القرآن ٤/٣٦٣، ٣٦٤

(٢) المرجع السابق ٤/٣٦٥

أن يراد بالجواب المقصود منه وحقيقته لا مجرد ظاهر اللفظ، فمثلا: لو جئتني لأكرمك، المقصود: لأكرمك في بيتي إكراما لأجل زيارتك لي أو إكراما مترتبا على زيارتك لي، فهذا الجواب الذي امتنع لامتناع الشرط لا مطلق الإكرام؛ إذ يحتمل أنه أكرمه قبل ذلك، ولكنه كان سيكرمه في بيته لأجل مجيئه إكراما آخر، فهذا الإكرام الآخر هو الذي امتنع لأجل امتناع مجيء المخاطب.

و(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) المقصود: لم يعصه أيضا في حالة عدم الخوف منه كما لم يعصه وهو خائف منه- لأن المانع له من المعصية أسباب أخرى من الحياء والأدب والحب والإجلال-، فهذا الجواب الذي امتنع؛ أي: امتنع عدم المعصية وهو غير خائف منه لامتناع الشرط وهو عدم الخوف.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَجْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ - لقمان: ٢٧-، لا يصح أن يقال: إن المراد من الجواب: عدم نفاذ كلمات الله، وهو غير ممتنع، فلا تفيد (لو) امتناع الجواب، بل المراد من الجواب: ما نفذت كلمات الله مع كثرة ما كتب بالأقلام والمداد المذكور لكثرة كلمات الله وعدم انتهائها، وهذا حقيقة الجواب وهو المقصود منه، وهو ممتنع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ - النساء: ٦٦- ليس المراد من الجواب مجرد عدم فعل قتل النفس أو الخروج من الديار، وإنما عدم فعل ذلك بعد أن كتبه الله عليهم وعدم فعل الأمر، وهذا هو المقصود، وهو ممتنع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرَضُونَ ﴿٢٣﴾ - الأنفال: ٢٣ - ليس الجواب مطلق التولي، وإنما التولي عن الحق الذي أسمعهم الله إياه سماع تدبر وتفهم. (١)
فتكون لو تفيد امتناع الجواب - لامتناع الشرط- على أن يراد بالجواب مراد قائله منه.

وهذا هو مفهوم كلام سيوييه: "حرف لما كان سيقع لوقوع غيره" فقوله " كان سيقع " أي: إنه لم يقع أي: امتنع وقوعه؛ أي: إن الجزاء ممتنع.
قال الإمام الزركشي، وهو ينقل أحد تخريجات أن (لو) حرف امتناع لامتناع:
" الطريق الثاني: أن قولهم: لامتناع الشيء لامتناع غيره معناه: أن ما كان جوابا لها كان يقع لوقوع الأول، فلما امتنع الأول امتنع أن يكون الثاني واقعا لوقوعه، فإن وقع فلأمر آخر وذلك لا ينكر فيها؛ ألا ترى أنك إذا قلت: لو قام زيد قام عمرو دل ذلك على امتناع قيام عمرو الذي كان يقع منه لو وقع قيام زيد لا على امتناع قيام عمرو لسبب آخر، وكذلك: لو لم يخف الله لم يعصه امتنع عدم العصيان الذي كان سيقع عند عدم الخوف لو وقع، ولا يلزم امتناع عدم العصيان عند وجود الخوف. " (٢)

(١) راجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٥/٤

(٢) البرهان ٣٦٧/

ثانياً: شرط (لو)

شرط (لو) يكون جملة فعلية، أو (أَنَّ) وصلتها.

قال الإمام الزركشي: " ويتعلق بـ "لو" الامتناعية مسائل:

الأولى: أنها كالشرطية في اختصاصها بالفعل، فلا يليها إلا فعل أو معمول فعل

يفسره ظاهر بعده كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ - الإسراء: ١٠٠ - حذف الفعل فانفصل الضمير.

وانفردت (لو) بمباشرة (أَنَّ)؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾ - الحجرات: ٥-، وهو كثير.

واختلف في موضع (أَنَّ) بعد (لو) فقال سيبويه: في موضع رفع بالابتداء، واختلف عنه في الخبر؛ فقيل: محذوف، وقيل: لا يحتاج إليه.

وقال الكوفيون: فاعل بفعل مقدر تقديره: (ولو ثبت أنهم)، وهو أقيس لبقاء

الاختصاص. (١)

وقال الإمام ابن هشام: " وتختص (لو) مطلقاً بالفعل، ويجوز أن يليها قليلاً اسمٌ

معمول لفعل محذوف يفسره ما بعده...، وكثيراً (أَنَّ) وصلتها نحو: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ

صَبَرُوا ﴾ - الحجرات: ٥-، فقال سيبويه وجمهور البصريين: مبتدأ ثم قيل: لا خبر

له، وقيل: له خَيْرٌ محذوف، وقال الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري: فاعلٌ

بـ(تَبَّتْ) مقدرًا كما قال الجميع في (ما) وصلتها في: (لا أَكَلِمُهُ ما أَنَّ في السَّمَاءِ

نَجْمًا). (٢)

(١) البرهان في علوم القرآن ٤ / ٣٦٩، ٣٧٠

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ٢٢٩، ٢٣٠

وقال: " المسألة الثانية: تقع (أَنَّ) بعدها كثيرا نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ - البقرة: ١٠٣-... وموضعها عند الجميع رفع؛ فقال سيبويه: بالابتداء ولا تحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه، واختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو...، وقيل: على الابتداء والخبر محذوف، ثم قيل: يقدر مقدما؛ أي: ولو ثابت إيمانهم...، وقال ابن عصفور: بل يقدر هنا مؤخرا... فالأولى حينئذ أن يقدر مؤخرا على الأصل؛ أي: ولو إيمانهم ثابت، وذهب المبرد والزجاج والكوفيون إلى أنه على الفاعلية والفعل مقدر بعدها أي: ولو ثبت أنهم آمنوا، ورُجِّح بأن فيه إبقاء (لو) على الاختصاص بالفعل. " (١)

مسألة: " قال الزمخشري: الفرق بين قولك: (لو جاءني زيد لكسوته)، و(لو زيد جاءني لكسوته)، و(لو أن زيدا جاءني لكسوته) أن القصد في الأول مجرد ربط الفعلين وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير من غير تعرض لمعنى زائد على التعلق الساذج، وفي الثاني انضم إلى التعليق أحد معنيين إما نفي الشك والشبهة وأن المذكور مَكْسُوٌّ لا محالة، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره؛ وتخرج عليه آية ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ - الإسراء: ١٠٠-، وفي الثالث مع ما في الثاني زيادة التأكيد الذي تعطيه أن وإشعار بأن زيدا كان حقه أن يجيء وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظه؛ ويخرج عليه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ - الحجرات: ٥-، ونحوه فتأمل ذلك، وخرَّج عليه ما وقع في القرآن من أحد الثلاثة " (٢)

(١) مغني اللبيب ٣٥٥، ٣٥٦

(٢) الإتيان في علوم القرآن ٥٤٥/٢



ثالثا: جواب لو

قال الإمام ابن عقيل: " ولا بد لـ(لو) هذه من جواب، وجوابها إما فعل ماض، أو مضارع منفي بلم، وإذا كان جوابها مثبتا فالأكثر اقترانه باللام نحو: لو قام زيد لقام عمرو، ويجوز حذفها؛ فتقول: لو قام زيد قام عمرو، وإن كان منفيا بلم لم تصحبها اللام؛ فتقول: لو قام زيد لم يقم عمرو، وإن نفى بـ(ما) فالأكثر تجرده من اللام؛ نحو: لو قام زيد ما قام عمرو، ويجوز اقترانه بها؛ نحو: لو قام زيد لما قام عمرو. " (١)

وقال الإمام الزركشي: " الثالثة: الأكثر في جوابها المثبت اللام المفتوحة للدلالة على أن ما دخلت عليه هو اللازم لما دخلت عليه (لو)؛ قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء: ٢٢-، ففي اللام إشعار بأن الثانية لازمة للأولى.

وقوله: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ - الواقعة: ٦٥-، ويجوز حذفها: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ - الواقعة: ٧٠-." (٢)

(١) شرح ابن عقيل ٥١/٤

المؤلف: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني

الناشر: دار الفكر - دمشق

الطبعة الثانية، ١٩٨٥

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٧٢/٤

وقال الإمام السيوطي: " وجواب (لو) إما مضارع منفي بـ(لم)، أو ماضٍ مثبت، أو منفي بـ(ما)، والغالب على المثبت دخول اللام عليه؛ نحو: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ - الواقعة: ٦٥-، ومن تجرده: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَلًا﴾ - الواقعة: ٧٠-، والغالب على المنفي تجرده؛ نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ - الأنعام: ١١٢-." (١)

وقال الإمام أبو حيان: " ولا يكون الجواب جملة اسمية، فأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ - البقرة: ١٠٣-، فالجواب محذوف واللام جواب قسم محذوف، وقال الزجاج: لمثوبة في موضع الجواب كأنه قال: لأثيبوا." (٢)

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢/٥٤٤، ٥٤٥

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب ٤/١٩٠١، ١٩٠٢



المطلب الثاني: أغراض (لو) الامتناعية

(لو) التي خاطب الله تعالى بها العباد أتت في القرآن لأغراض تقررها وتدلل عليها؛ وهي: ذكر حقائق، والرد على شبهات ومزاعم باطلة، والحث على تدارك ما فات وإصلاح الأخطاء، والاعتبار بما فات الآخرين ليتجنبه المخاطبون واللاحقون، والإعلام أن ما لم يفعله الله كان لحكم ومنافع، والإخبار بأمر غيبية لا تصل إليها عقولنا وأراد الله تجليتها لنا.

أما (لو) المحكية على لسان الأنبياء فقد أتت لغرضين: الاستعطاف، والإنكار. وأما (لو) المحكية على لسان الكافرين والمنافقين فقد أتت للحسرة وهي التي تفتح عمل الشيطان، وأتت للتعلل والاعتذار الكاذب. وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: من أغراض (لو): ذكر حقائق:

وهذه الحقائق أتت في الموضوعات التالية:

• وحدانية الله تعالى

وذلك في الآيات التالية:

• قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا

﴿ ٤٤ ﴾ - الإسراء: ٤٢ قال الإمام السيوطي: " ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ لَوْ كَانَ مَعَهُ ﴾

أي: الله ﴿ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا ﴾ طلبوا ﴿ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ ﴾ أي: الله

﴿ سَبِيلًا ﴾ ليقاتلوه. (١)

وقال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

(١) تفسير الجلالين ٣٧٠



يَصِفُونَ ﴿ - الأنبياء: ٢٢ - .

قال الإمام ابن جزى: " ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله: ﴿ فِيهِمَا ﴾ للسماوات والأرض، ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ صفة لآلهة، و﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى غير، فاقتضى الكلام أمرين: أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله: ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة... بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لخطة واحدة" (١)

وقال الإمام أبو السعود: " ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ إبطال لتعدد الإله بإقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته، وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال، وكذا فرض كونها فيهما، و﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى (غير) على أنها صفة لـ ﴿ آلِهَةٌ ﴾، ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى، ولا للرفع على البديل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٤، ٣٣/٢

في كلام غير موجب، أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: لبطلتا بما فيهما جميعا، وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعاً، بيان الملازمة: أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبديلاً وإيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلة متعددة وإما بتأثير واحد منها فالباقي بمعزل من الإلهية قطعاً، واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الإطلاق، فإنه لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود أصلاً، وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم، والفاء في قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوجدانية بالبرهان؛ أي: فسبحوه -سبحانه- اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية، وإيراد الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلة الحكم؛ فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وإدخال الروعة، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾ صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه -عز وجل- ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ متعلق بالتسبيح؛ أي: فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة. (١)

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦١/٦، ٦٢.



• تنزه الله عن الولد

- قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ - الزمر: ٤-.

قال الإمام ابن عطية: " قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ﴾ معناه: اتخاذ التشريف والتبني، وعلى هذا يستقيم قوله تعالى: ﴿لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ﴾، وأما الاتخاذ المعهود في الشاهد فمستحيل أن يتوهم في جهة الله تعالى، ولا يستقيم عليه معنى قوله: ﴿لَأَصْطَفَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ - مريم: ٩٢- لفظ يعم اتخاذ النسل واتخاذ الأصفياء، فأما الأول فمعقول، وأما الثاني فمعروف لخبر الشرع، ومما يدل على أن معنى قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ﴾ الاصطفاء والتبني قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ أي: من موجوداته ومحدثاته. ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا عن جميع ما لا يكون مدحة، واتصافه تعالى بـ ﴿الْقَهَّارُ﴾ اتصاف على الإطلاق، لأن أحدا من البشر إن اتصف بالقهر فمقيد في أشياء قليلة، وهي في حين قهره لغيره مقهور لله تعالى عن أشياء كثيرة. " (١)

• تنزه الله عن العبث في خلقه:

- قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هُمًا لَأَتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - الأنبياء: ١٧-.

قال الإمام القاسمي: " استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللغو؛ أي: لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به ويلعب لاتخذناه من عندنا كديدن الجابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها، لكن يستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٥١٨، ٥١٩.

فيستحيل اتخاذنا له قطعاً. وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ جوابه محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: لاتخذناه. وقيل: إِنَّ (إن) نافية؛ أي: ما كنا فاعلين؛ أي: لاتخاذ الله، لعدم إرادتنا إياه، فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم. " (١)

عدم اتباع الحق الأهواء:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ - المؤمنون: ٧١ -

قال الإمام المحلي: " ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم. " (٢)

• وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ - الحجرات: ٧ -

قال الإمام الثعلبي: " قوله - عز وجل -: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا الباطل وتفتروا الكذب، فإنَّ الله - عز وجل - يخبره أنباءكم، ويعرفه أحوالكم، فتفتضحوا. ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ فيحكم بראيكم، ويقبل قولكم. ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأنتمم وهلكتم. " (٣)

(١) محاسن التأويل ١٨١/٧

(٢) تفسير الجلالين ٤٥٢

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣٦٥/٢٤

وقال الإمام أبو السعود: " وأما صيغة المضارع فقد قيل: إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لامتناع استمرار طاعته - عليه الصلاة والسلام- لهم؛ لأن عندهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعين لهم من الأمور؛ إذ فيه اختلال أمر الإيالة^(١) وانقلاب الرئيس مرؤسا، لا من إطاعته في بعض ما يروونه نادرا، بل فيها استمالتهم بلا معرفة، وقيل: إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعته - عليه الصلاة والسلام- لهم في ذلك؛ فإن المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام، كما في نظائر قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ﴾. "^(٢)

• صدق القرآن الكريم وحقيقته:

• قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) - النساء: ٨٢ -

قال الإمام الواحدي: " ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ بالتناقض والكذب والباطل وتفاوت الألفاظ. "^(٣)

وقال الإمام البيضاوي: " ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل التدبر: النظر في أدبار الشيء ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلية للواقع دون بعض،

(١) " والإيالة ككتابة: السياسة. " القاموس المحيط ٩٥٩

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١١٩/٨

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٧٨

وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. " (١)

• وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ

لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ - يونس: ١٦ -

قال الإمام الواحدي: " ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ما قرأت عليكم القرآن ﴿ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ ولا أعلمكم الله به ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ أقمْتُ فيكم أربعين سنةً لا أُحدِّثكم شيئاً ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه ليس من قبلي. " (٢)

وقال الإمام الزمخشري: " ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجبياً خارجاً عن العادات، وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيء من أسرارها، وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به. " (٣)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٨٦/٢

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٩٢

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢٣٥/٢

• وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ - الحاقة: ٤٧ : ٤٤ - .

قال الإمام ابن جزي: " ﴿ وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ التَّقْوِل: هو: أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية: لو تقوّل علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله، ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ قال ابن عباس: هنا القوة؛ ومعناه: لو تقوّل علينا لأخذناه بقوتنا، وقيل: هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن: أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشري: معناه: لو تقوّل علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين، لأن السيّاف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف ﴿ الْوَتِينَ ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ ﴾ الحاجز: المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه، وإنما جمع ﴿ حَنِيزِينَ ﴾ لأن ﴿ أَحَدٍ ﴾ في معنى الجماعة. " (١)

• عظمة كلام الله تعالى:

• قال الله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ - الحشر: ٢١ -

قال الإمام الواحدي: " أخبر الله تعالى أنّ من شأن القرآن وعظمته أنّه لو جعل

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤٨٢/٢، ٤٨٣،

في الجبل تمييزاً كما جعل في الإنسان، وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدّع؛ أي: تشقّق من خشية الله. " (١)

• سعة علم الله تعالى

• قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٨) - الكهف: ١٠٩ - .

قال الإمام الواحدي: " ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ وهو ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي: لكتابتها وهي حكّمه وعجائبه والكلمات: هي العبارات عنها ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة على البحر. " (٢) ◆ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) - لقمان: ٢٧ - .

قال الإمام ابن جزى: " ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ الآية إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد اتساع علمه، ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صبّاً دائماً وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفذ كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠٨٥

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦٧٤

فإن قيل: لم لم يَقُلْ: (والبحر مداداً) كما قال في الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾؟ فالجواب: أنه أغنى من ذلك قوله: ﴿يُمِدُّهُ﴾ لأنه من قولك: مدّ الدواة وأمدّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: (من شجر) باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟ فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة. فإن قيل: لم قال: ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: (كلم الله) بجمع الكثرة؟ فالجواب: أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفذ الكلمات مع أنه جمع قلة، فكيف ينفذ الجميع الكثير. " (١) وفي هذه الآية دخلت (لو) على الجملة الاسمية.

• لا يعلم الغيب إلا الله:

◆ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ - الأعراف: ١٨٨.

قال الإمام السمرقندي: " قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ قال مقاتل: يعني: لا أقدر لنفسي أن أسوق إليها خيراً أو أدفع عنها ضراً حين ينزل بي فكيف أملك علم الساعة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيصيبني ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: غيب النفع والضرر إذ جاء ﴿لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ يعني:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٧٥، ١٧٤/٢

لاستكثر من النفع وما أصابني الضر. وقال الكلبي: أن أهل مكة قالوا له ألا يخبرك ربك بالبيع الرخيص قبل أن يعلو فتشتريه فتربح فيه؟ فنزل قل لهم: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ للجذوبة والقحط. ويقال: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثر من العمل الصالح. وقال الضحاك: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ يعني الغنى والفقر ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إن شاء أغنى عبده وإن شاء أفقره ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ أي: مواضع الكنوز لاستخرجتها ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ يعني: الفقر. " (١)

وقال الإمام الزمخشري: " ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنني شيء منها، ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب، ورابحاً وخاسراً في التجارات، ومصيباً مخطئاً في التدابير. " (٢)

(١) بحر العلوم ١/٥٨٧، ٥٨٨

(٢) الكشاف ٢/١٨٥

♦ وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ - سبأ: ١٤ - .

قال الإمام المحلي: " ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ﴾ على سليمان ﴿ الْمَوْتَ ﴾ أي: مات ومكث قائماً على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عاداتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً ﴿ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ مصدر أَرْضَتِ الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ بالهمز وتركه بألف، عصاه لأنها ينسأ يطرد ويزجر بها ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ ميتاً ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ ﴾ انكشفت لهم ﴿ أَنْ ﴾ مخففة أي: أنهم ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ﴾ ومنه: ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً. " (١)

(١) تفسير الجلالين ٥٦٥



• قدرة الله:

♦ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ﴾ - الفرقان: ٤٥ - .

قال الإمام الماتريدي: " وقوله -عز وجل-: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أي: دائماً لا يذهب أبداً، ولا تصيبه الشمس ولا يزول. وقال بعضهم: ﴿ سَاكِنًا ﴾ أي: مستقراً دائماً لا تنسخه الشمس كظل الجنة. وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾: قال بعضهم: أي: تتلوه وتتبعه حتى تأتي على كله. وقال بعضهم: قوله: ﴿ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾: يقول: حيثما تكون الشمس يكون الظل، وأصله: أنه بالشمس يعرف الظل أنه ظل، ولولا الشمس ما عرف الظل، فهو دليل معرفته وكونه أنه ظل. " (١)

• عجز المخلوق

♦ قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۖ وَلَا يَبْنَعُكَ مِثْلُ خَيْرِ ۝١٤ ﴾ - فاطر: ١٤ - .

قال الإمام الزمخشري: " إن تدعوا الأوثان ﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ على سبيل الفرض والتمثيل لـ ﴿ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لأنهم لا يدعون

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٣٠/٨

مما يذاع أو لا؟ ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي: يستخرجونه بظننتهم وتجربتهم كما يستخرج الإنباط^(١) المياه ومنافع الأرض ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الرسول وأولي الأمر^(٢).

• الابتلاء بالقتال أراد الله

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾ - البقرة: ٢٥٣ -

قال الإمام القرطبي: "وذلك كله بقضاء وقدر وإرادة من الله تعالى، ولو شاء خلاف ذلك لكان ولكنه المستأثر بسر الحكمة في ذلك الفعل لما يريد."^(٣)

♦ وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا اٰخْتَضَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّوَابَ فَمَا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الرُّبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ - محمد: ٤ -.

قال الإمام القرطبي: " ومعنى ﴿لَأَنْصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: أهلكهم بغير قتال. وقال ابن عباس: لأهلكهم بجند من الملائكة. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: أمرهم

(١) " ونبت البئر: استخرج ماءها... وكل ما أظهر بعد خفاء فقد أنبت واستنبت مجهولين."
القاموس المحيط ٦٨٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٤٣/٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/٣

بالحرب ليبلو ويختبر بعضهم ببعض فيعلم المجاهدين والصابرين، كما في السورة نفسها. " (١)

• تشریف النبی - صلی الله علیه وسلم- بالبعثة العامة

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ - الفرقان: ٥١ -
قال الإمام البيضاوي: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة، لكن قَصَرْنَا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل، فَقَابِلْ ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق. " (٢)

• لين النبي - صلی الله علیه وسلم-

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ - آل عمران: ١٥٩ -

• الشرك يحبط العمل لصاحبه مهما كان:

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ - الأنعام: ٨٨ .
قال الإمام أبو السعود: " ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي: هؤلاء المذكورون ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ﴾ مع فضلهم وعلو طبقاتهم ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من الأعمال المرضية

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٠، ٢٢٩/١٦

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٧/٤

الصالحة، فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم!"^(١)

• المنافقون ليسوا بمؤمنين

◆ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُوتٌ﴾ (٨١) - المائدة: ٨١.

قال الإمام أبو السعود: " ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أي: الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ أي: نبيهم ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ من الكتاب أو لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا إيماناً صحيحاً ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: المشركين أو اليهود ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعاً ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُوتٌ﴾ خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبينهم وكتابهم أو متمردون في النفاق مفرطون فيه."^(٢)

• كراهية المنافقين للقتال

◆ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ - التوبة: ٤٦. قال الإمام السمرقندي: " قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك إلى الغزو، ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ يعني: اتخذوا لأنفسهم قوة من السلاح، معناه: إن تركهم

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٥٩/٣

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧٠/٣



العدة دليل على إرادتهم التخلف. " (١)

وقال الإمام أبو السعود: ﴿ وَكَوْا أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾ يدل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار: كنا نريد الخروج لكن لم نتهياً له، وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد، فقيل تكذيباً لهم: لو أرادوه ﴿ لَأَعَدُّوا لَهُمْ ﴾ أي: للخروج في وقته ﴿ عِدَّةٌ ﴾ أي: أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر. " (٢)

• ترك الله الاختيار للعبد وعدم إجباره على الإيمان

◆ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَكَوْا شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ... ﴾ - المائدة: ٤٨ -

قال الإمام البيضاوي: ﴿ وَكَوْا شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل، ومفعول ﴿ لَوْ شَاءَ ﴾ محذوف دل عليه الجواب. وقيل: المعنى: لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه. " (٣)

وقال الإمام السيوطي: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ أيها الأمم ﴿ شِرْعَةً ﴾ شريعة

(١) بحر العلوم ٦٣/٢

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧٠/٤

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٩/٢

﴿ وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على شريعة واحدة ﴿ وَلَكِنْ ﴾ فرقكم فرقا ﴿ لِيَبْلُوكُمْ ﴾ ليختبركم ﴿ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي. " (١)

وقال الإمام الشوكاني: " قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ بشريعة واحدة وكتاب واحد ورسول واحد ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ ﴾ أي: ولكن لم يشأ ذلك الاتحاد، بل شاء الابتلاء لكم باختلاف الشرائع. " (٢)

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ ٣٥ ﴾ - الأنعام: ٣٥.

قال الإمام السمرقندي: " ثم قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ يعني: لهداهم إلى الإيمان. ويقال: ولو شاء لاضطرهم إلى الهدى؛ كما قال في آية أخرى: ﴿ إِنْ شَاءَ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّصِينَ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ - الشعراء: ٤ - ومعناه: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قهراً وجبراً، ولكن ما فعل وكلفهم وتركهم في اختيارهم. " (٣)

(١) تفسير الجلالين ١٤٦

(٢) فتح القدير ٥٦/٢

(٣) بحر العلوم ٤٦٦/١

قال الإمام ابن عطية: " إذ هو لا إله إلا هو لم يرد أن يجمعهم على الهدى، وإنما أراد أن ينصب من الآيات ما يهتدي بالنظر فيه قوم ويضل آخرون، إذ خلقهم على الفطرة وهدى السبيل وسبقت رحمته غضبه، وله ذلك كله بحق ملكه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ في أن تأسف وتحزن على أمر أراده الله وأمضاه... " (١)

وقال الإمام الألويسي: " ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو شاء الله -تعالى جمعهم على ما أنتم عليه من الهدى لجمعهم عليه بأن يوفقهم للإيمان فيؤمنوا معكم، ولكن لم يشأ ذلك سبحانه لسوء اختيارهم حسبما علمه الله تعالى منهم في أزل الأزل. وقال المعتزلة: المراد: لو شاء - سبحانه- جمعهم على الهدى لفعل بأن يأتيهم بأية ملجئة إليه، لكنه - جل شأنه- لم يفعل ذلك لخروجه عن الحكمة.

والحق ما عليه أهل السنة. " (٢)

ومثل الآيتين السابقتين في الدلالة - المستفادة من جملة (لو) الشرطية- على ترك الله الاختيار للعبد وعدم إجباره على الإيمان والهدى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ - الأنعام: ١٠٧-، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٣) - الأنعام: ١١٢-، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٧) -

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٨٧/٢

(٢) روح المعاني ١٣٩/٧

الأنعام: ١٣٧-، وقوله تعالى: ﴿ فَلََوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ - الأنعام: ١٤٩-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ - الأعراف: ١٧٦-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ - يونس: ٩٩-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ - هود: ١١٨-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ - النحل: ٩-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَشْتَأَنَّ عَمَّا كُتِبَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٣) - النحل: ٩٣-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ - السجدة: ١٣-، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٨) - الشورى: ٨-.

• رحمة الله بعباده في إمهاله لهم

♦ قال الله تعالى: ﴿ أَوْلَتْ يَهْدٍ لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٠) - الأعراف: ١٠٠-.

قال الإمام الشوكاني: " (أن لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) أي: أخذناهم بكفرهم وتكذيبهم. " (١)

♦ وقال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ ﴾ - الكهف: ٥٨-.

(١) فتح القدير ٢٦٠/٢

قال الإمام ابن عطية: " ولو أخذوا بحسب ما يستحقونه لبادرهم بالعذاب المبيد لهم، ولكنه تعالى أخرهم إلى موعد لا يجدون عنه منجى، قالت فرقة: هو أجل الموت، وقالت فرقة: هو عذاب الآخرة. " (١)

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ - يونس: ١١-.

قال الإمام ابن جزى: " ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعاً، ونزلت الآية عند قوم: في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده، وقيل: نزلت في الذين قالوا: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ السَّمَاءِ﴾ - الأنفال: ٣٢- (٢).

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ - النحل: ٦١-.

قال الإمام أبو السعود: " ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ الكفار ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - النحل: ٦٠-، وإيدان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى إلى

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٢٦/٣

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٧/١

أمد لا غاية وراءه ﴿ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي: ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل أهلكها بالمرّة بشؤم ظلم الظالمين؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَثَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ - الأنفال: ٢٥-... " (١)

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (٤٥) - فاطر: ٤٥-.

• رحمة الله بعباده في عدم انتقامه منهم

◆ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ - البقرة: ٢٠-.

قال الإمام السيوطي: " ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ بمعنى أسمعهم ﴿ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة. " (٢)

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْزَلْنَا لَهُمُ الْبُحْرَانَ فَاسْتَمْتَرُوا وَاصْتَبَا وَاصْبَحُوا شُرَكَاءَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَعْلَمُونَ ﴾ - يس: ٦٦-.

قال الإمام السيوطي: " ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾ لأعميناها طمسا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٢٢/٥

(٢) تفسير الجلالين ٦

﴿فَاسْتَبْقُوا﴾ ابتدروا ﴿الْصِّرَاطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنزِلْنَا﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذ أي: لا يبصرون. " (١)

◆ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ - يس: ٦٧ - .

قال الإمام الواحدي: " ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ حجارةً وقردهً وخنازير ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدرُوا على ذهابٍ ولا مجيء. " (٢)

وقال الإمام أبو السعود: "وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسح بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاض بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم، وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به؛ كأنه قيل: لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسح جريا على موجب جنایاتهم المستدعية لها لفعلناها، ولكننا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم. " (٣)

◆ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ - محمد: ٣٠ - .

قال الإمام البيضاوي: " ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ لعرفناكم بدلائل تعرفهم

(١) تفسير الجلالين ٥٨٥

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٠٣

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٧٧/٧



بأعيانهم. ﴿ فَلَعَنَهُمْ بِسِيمِهِمْ ﴾ بعلاماتهم التي نسّمهم بها. " (١)

◆ وقال الله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ (٦٥) - الواقعة: ٦٥.

قال الإمام القرطبي: " ثم قال: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ أي: متكسرا يعني الزرع، والحطام: الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبه بذلك أيضا على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما ليشكروه. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاما إذا شاء، وكذلك يهلكهم إذا شاء ليتعضوا فينجزروا.... " (٢)

وقال الإمام المحلي: " ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ نباتا يابس لا حب فيه. " (٣)

◆ وقال الله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٠) - الواقعة: ٧٠.

قال الإمام القرطبي: " ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ أي: ملحا شديد الملوحة، قاله ابن عباس. الحسن: مُرًّا فُعاعا^(٤)، لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما. " (٥)

وقال الإمام المحلي: " ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ملحا لا يمكن شربه. " (٦)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٤/٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/١٧، ٢١٩،

(٣) تفسير الجالين ٧١٦

(٤) " ماءٌ فُغٌ وفُعاغٌ -بضمهما-: شديدُ المرارة." القاموس المحيط ٧٥٣

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٧

(٦) تفسير الجالين ٧١٦



• لزوم العذاب للكافرين

♦ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ

مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ - المائدة: ٣٦-

قال الإمام أبو السعود: "﴿لَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: لكل واحد منهم؛ كما في قوله

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ ظَلَمَاتٍ﴾ إلخ - يونس: ٥٤- لا لجميعهم إذ ليس في ذلك

هذه المرتبة من تهويل الأمر وتفطيع الحال ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من أصناف

أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ﴿أَنْ﴾، و﴿لَهُمْ﴾ خبرها،

ومحلها الرفع بلا خلاف؛ خلا أنه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه إلى

الخبر لاشتغال صلتها على المسند والمسند إليه، وقد اختصت من بين سائر ما يؤول

بالاسم بالوقوع بعد (لو)، وقيل: الخبر محذوف، ثم قيل: يقدر مقدما؛ أي: لو ثابت

كون ما في الأرض لهم، وقيل: يقدر مؤخرا؛ أي: لو كون ما في الأرض لهم ثابت،

وعند المبرد والزجاج والكوفيين: رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد (لو)؛ أي: لو

ثبت أن لهم ما في الأرض. (١)

وقال الإمام القاسمي: "﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من

الأموال وغيرها ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ أي: ليفادوا به أنفسهم ﴿مِنْ

عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم،

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣٣/٣



وإنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه.

وقد روى البخاري عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تقندي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك» (١) ... (٢)

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ - يونس: ٥٤ -.

♦ وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ - الرعد: ١٨ -.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ - الزمر: ٤٧ -.

ثانياً: من أغراض (لو) الرد على الشبهات والمزاعم الباطلة وقد أتى ذلك في القرآن الكريم فيما يلي:

• الأول: الرد على استعجالهم العذاب:

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ - الأنعام:

(١) صحيح البخاري ١١٢/٨ رقم ٦٥٣٨ كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب، وراجع صحيح مسلم ٢١٦١/٤ رقم ٥٢ - (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، وفي رواية أخرى للبخاري: "إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تقندي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك" صحيح البخاري ١٣٣/٤ رقم ٣٣٣٤ كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٢) محاسن التأويل ١٢٩/٤

٥٨- قال الإمام السيوطي: " ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله. " (١)

• الثاني: الرد على زعمهم أن الرسول ينبغي أن يكون ملكاً:

◆ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾
- الأنعام: ٩، ٨ -

قال الإمام الواحدي: " ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ طلبوا ملكاً يروونه يشهد له بالرسالة فقال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضِيَ الْأَمْرُ ﴾ لأهلكوا بعذاب الاستئصال كسنة من قبلهم ممن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ لا يمهلون لتوبة ولا غير ذلك. ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول الذي ينزل عليهم ليشهدوا له بالرسالة ملكاً كما يطلبون ﴿ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة، ولذلك كان جبريل - عليه السلام - يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صورة دحية الكلبي ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ ولخاطنا عليهم ما يخطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي، أي: فإنما طلبوا حال لبس لا

(١) تفسير الجالين ٣٧٦



حال بيان. (١)

♦ وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ - الإسراء: ٩٥ - .

قال الإمام السيوطي: " ﴿ قُلْ لَّهُمْ ﴾ ﴿ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ ﴾ بدل البشر ﴿ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه. " (٢)

♦ وقال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ نَادِيًا مِنْكُمْ لِيُخَبِّرَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ - الزخرف: ٦٠ - .

• الثالث: زعم المنافقين أن الهروب من ساحات القتال يؤخر الموت، فرد الله عليهم أن للموت ميعاد لا يؤخره الفرار:

♦ قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٤٥، ٣٤٦

(٢) تفسير الجلالين ٣٧٦

عَلَيْهِمْ أَلْقَتُلْ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ۗ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

قال الإمام ابن جزري: " ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية: رد عليهم، وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت بأجله ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء. " (١)

• ثالثاً: من أغراض (لو) الحث على تدارك ما فات وإصلاح الأخطاء:

وذلك إذا كان المخاطب في وقت وحال يستطيع أن يتدارك فيه ما فاتته؛ وأن يبادر بالإصلاح قبل فوات الأوان. وذلك يأتي في الآيات التالية:

◆ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ - النساء: ٦٤.-

قال الإمام أبو السعود: ﴿ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ لعلموه مبالغاً في القبول حالاً ورحيماً بدل منه أو حالاً من الضمير فيه وأياماً كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٦٢، ١٦٣.

فواتها. (١)

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۖ وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۖ﴾ (٦٨) - النساء: ٦٨ : ٦٦ -

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَكْتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ﴾ (٦٥) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۖ﴾ (٦٦) - المائدة: ٦٦ ، ٦٥ -

♦ وقال الله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ﴾ (٢١) - محمد: ٢١ -

• رابعاً: من أغراض (لو) الاعتبار بما فات الآخرين ليتجنبه المخاطبون واللاحقون:
فضل الإيمان

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ﴾ (١٠٣) - البقرة: ١٠٣ -

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٩٧/٢

قال الإمام الألوسي: " وفيه من الترغيب والترهيب المناسبين للمقام ما لا يخفى... وفي ذلك تحريض وحث على الإيمان. (١)"

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَكَوَّأْنَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ - آل عمران: ١١٠ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ (٣١) - النساء: ٣٩ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِالسِّنِينَهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤٦) - النساء: ٤٦ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرُجِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٦) - الأعراف: ٩٦ - .

وهذا الغرض قد يتداخل مع ما قبله، وتصلح بعض الآيات للغرضين.

(١) روح المعاني ٣٤٧/١

- خامسا: من أغراض (لو) بيان حكمة أو رحمة الله بعباده المؤمنين فيما سبق من قضائه
- حكمة الله في صنعه بعباده المؤمنين

♦ قال الله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَلَّيْ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۗ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِيكُمْ فَأَخُونُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

قال الإمام ابن جزى: " ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى ﴿لَأَعْتَبْتُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس: لأهلكم بما سبق من أكلكم أموال اليتامى. " (١)

♦ وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثٌ أَوْ جَاءَوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَبُواكُمُ فَلَمَّ أَعَزَّلُوكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُواكُمُ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

- النساء: ٩٠-

♦ وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

- الأنفال: ٤٣-

قال الإمام البيضاوي: " ﴿وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ لجنبتم، ﴿وَلَتَنْزَعْتُمْ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٠٨/١



في الأَمْرِ ﴿ في أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار. (١) ﴾

◆ وقال الله تعالى: ﴿ وَكَوَّ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغْوًا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ

بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ - الشورى: ٢٧-

قال الإمام مكي: " ثم قال تعالى: ﴿ وَكَوَّ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغْوًا فِي الْأَرْضِ ﴾

هذه الآية، روي أنها نزلت في قوم من أهل الصَّفَّةِ تمنوا سعة الدنيا والغناء، فأنزل

الله تعالى: ﴿ وَكَوَّ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغْوًا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: ولو وسع عليهم

لجاوزوا الحد الذي حده الله عز وجل لهم، ﴿ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ أي: يسهل

لهم رزقاً مقدرًا يصلحهم وتصلح عليه أحوالهم، ﴿ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ أي: ذو

خبر بهم، وذو علم يعلم من يصلحه التضيق وتفسده السَّعةُ في الرزق، ومن يفسده

التضيق وتصلحه السَّعةُ، فيعطي كُلاً على قدر ما يصلحه. قال قتادة: كان يقال:

خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يلهيك.... " (٢)

◆ وقال الله تعالى: ﴿ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى

مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمَّا تَعَلَّمُوهُمْ أَنْ تَطُوهُمْ فَتَضَيَّبَكُمْ

مَنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ - الفتح: ٢٥-

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦١/٣

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٦٥٩٢/١٠

قال الإمام ابن جزي: " ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية
تعليل لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة، ولقتلوا
أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين
أظهرهم... ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى تزيلا: تميزوا عن الكفار،
والضمير للمؤمنين المستوري الإيمان، أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا
الكفار... " (١)

سادسا: من أغراض (لو) الإخبار بأمور غيبية لا تصل إليها عقولنا وأراد الله

تجليتها لنا

قدر الله غالب:

◆ قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَوَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ - الأنفال: ٤٢ -.

قال الإمام ابن جزي: " ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو
تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقتلكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو لو تواعدتم
لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه. " (٢)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٥١/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٤٥/١

حكمة الله في التكليف

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْزَىٰ﴾ ﴿١٣٤﴾ - طه: ١٣٤ -

كان الإنسان قنورا

♦ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا﴾ ﴿١٠٠﴾ - الإسراء: ١٠٠ -

قال الإمام ابن جزري: " ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ (لو) حرف امتناع، ولا يليها الفعل إلا ظاهراً أو مضمرأ، فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره: (تملكون) ثم فسره بـ ﴿تَمْلِكُونَ﴾ الظاهر، و﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير الذي في (تملكون) المضمر ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: الأموال والأرزاق، ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بـ ﴿الْإِنْفَاقِ﴾ عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول {أمسكتم} محذوف، وقال الزمخشري: لا مفعول له لأن معناه بخلتم، من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى. " (١)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/٤٩٧، ٤٩٨



أهل الكفر لا سبيل لهم إلى الهدى

أخبر الله عن أمور عظيمة تستدعي الإيمان لو حدثت لما آمن هؤلاء المعاندون؛
وذلك في آيات:

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ - الأنعام: ٧-.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ - الأنعام: ٢٨.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيكَهَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ

كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ - الأنعام: ١١١.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ - الأنفال: ٢٣-.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ - الحجر: ١٥، ١٤-.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ لَلَجُؤا فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ - المؤمنون: ٧٥-.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا

بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ - الشعراء: ١٩٩، ١٩٨-.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَبِي

وَعَرِيٌّ قُلُّ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرٌّ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ - فصلت: ٤٤ - .

فضح الله للمنافقين

◆ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ
دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ - النساء: ٦٦ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن
بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلَكُونَ
أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢] .

◆ وقال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ
يَعْمُونَكُمْ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ - التوبة: ٤٧ .

◆ وقال الله تعالى: ﴿لَوْ يَخْتَدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغزَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ
وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ - التوبة: ٥٧ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا۟ لَوْ
أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنۢ أَنبِيَائِكُمْ لَوۡ كَانُوا۟ فِيكُمْ مَا قَتَلُوا۟ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ - الأحزاب: ٢٠ - .

◆ وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنۢ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا وَمَا
تَلَبَّثُوا۟ بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ - الأحزاب: ١٤ - .



بيان أن عدم القتال في الحديدية ليس لغلبة الذين كفروا

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَيَأْتِ وَلَا تَصِيرًا ۝٢٢﴾ - الفتح: ٢٢ -

قال الإمام الواحدي: " ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهل مكة لو قاتلوكم عام الحديدية ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾ لانهمزوا عنك ولنصرت عليهم. " (١)

هوان الأصنام ودخولها النار

♦ قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ ۝٩٩﴾ - الأنبياء: ٩٩ -

قال الإمام الواحدي: " ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ﴾ الأصنام ﴿۝٩٩﴾ على الحقيقة ما دخلوا النار ﴿وَكُلُّ﴾ من العابدين والمعبودين في النار ﴿خَلِيدُونَ﴾. " (٢)

سابعا: من أغراض (لو) الاستعطف على لسان نبي الله موسى - عليه السلام:-

♦ قال الله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُمَا فَعَلِ السَّفَهَاءَ مَنَّا إِن

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠١١

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٧٢٤



هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنِ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنِ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

قال الإمام ابن عطية: " وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ الآية، معنى هذه الآية: أن موسى - عليه السلام- اختار من قومه هذه العدة ليذهب بهم إلى موضع عبادة وابتغال ودعاء ليكون منه ومنهم اعتذار إلى الله عز وجل من خطأ بني إسرائيل في عبادة العجل وطلب لكمال العفو عن بقي منهم...

واختلف العلماء في سبب الرَّجْفَةِ التي حلت بهم؛ فقيل: كانت عقوبة لهم على سكوتهم وإغضائهم على عبادة العجل. وقيل: كانت على عبادتهم العجل بأنفسهم وخفي ذلك عن موسى في وقت الاختيار حتى أعلمه الله، قاله السدي. وقيل: كانت عقوبة لهم لأنهم لما دنوا و علموا أن موسى يسمع كلام الله قالوا له: أرنا ربك فأخذتهم الرجفة. وقيل: كانت عقوبة لتشططهم في الدعاء؛ بأن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطيه أحدا بعدنا، فأخذتهم الرجفة...

قال القاضي أبو محمد: وروي أنهم ماتوا في رجفتهم هذه، ويحتمل أن كانت كالإغماء ونحوه، والرَّجْفَةُ: الاهتزاز والتقلقل للهول العظيم. فلما رأى موسى ذلك أسف عليهم وعلم أن أمر بني إسرائيل سيتشعب عليه إذا لم يأت بالقوم، فجعل يستعطف ربه؛ أي: رب لو أهلكتهم قبل هذه الحال وإيائي لكان أحق عليّ، وهذا وقت هلاكهم فيه مفسد على مؤذلي، ثم استفهم على جهة الرغبة والتضرع والتذلل، ويحتمل قوله: ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّتِي ﴾ أن يريد: وقت إغضائهم على عبادة العجل؛ أي: وقت عبادتهم على القول بذلك وفي نفسه هو وقت قتله القبطي، أي: فأنت قد سترت وعفوت حينئذ، فكيف الآن إذ رجوعي دونهم فساد لبني

إسرائيل، فمحنى الكلام على هذا محض استعطاف، وعلى التأويل الأول منحاه الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف، وإذا قلنا إن سبب الرجفة كان عبادة العجل كان الضمير في قوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا﴾ له وللسبعين، و﴿السُّفَهَاءُ﴾ إشارة إلى العبد من بني إسرائيل، وكذلك إذا كان سببها قول بني إسرائيل له قتلت هارون، وإذا كان سبب الرجفة طلبهم الرؤية وتشططهم في الدعاء أو عبادتهم بأنفسهم العجل فالضمير في قوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا﴾ يريد به نفسه وبني إسرائيل، أي: بالتفرق والكفر والعصيان يكون هلاكهم، ويكون قوله: ﴿السُّفَهَاءُ﴾ إشارة إلى السبعين. " (١)

وقال الإمام أبو السعود: " ﴿فَلَمَّا أَحَدَتْهُمْ الرَّجْفَةُ﴾ مما اجترعوا عليه من طلب الرؤية... ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عِبَدَتَهُ حين شاهدوا إصرارهم عليها ﴿وَإِنِّي﴾ أيضا حين طلبت منك الرؤية؛ أي: لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذ أراد به - عليه السلام - تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق، فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد، يعني: إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موانعه إلا عدم مشيئتك إياه؛ فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو في أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضا، وحمل الكلام على التمني يابأه قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي: الذين لا يعلمون تفاصيل شؤنك ولا ينتبئون في المداحض، والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله - عز وجل - كما قاله ابن الأنباري، أو للاستعطاف كما قاله الميرد؛ أي: لا تهلكننا... " (٢)

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٥٩/٢، ٤٦٠

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٧٧/٣



ثامنا: من أغراض (لو) الإنكار والتخطئة

على لسان نبي الله موسى – عليه السلام:-

◆ قال الله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا



- الكهف: ٧٧ -

قال الإمام مكي: " ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدار هم حتى يعطوك على إقامته أجراً، قيل: عني موسى بالأجر هنا الضيافة؛ أي: حتى يبرونا. " (١)

وقال الإمام ابن عطية: " وقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وإن لم يكن سؤالاً ففي ضمنه الإنكار لفعله، والقول بتصويب أخذ الأجر، وفي ذلك تخطئة ترك الأجر" (٢)

تاسعاً: من أغراض (لو) الندم والحسرة

مقولة على لسان الكافرين والمنافقين، وذلك في الآيات التالية:

◆ قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٤٣٦/٦

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣٤/٣

في يُيُوتِكُمْ لِبَرِّ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴿١٥٤﴾ - آل عمران: ١٥٤.

♦ وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًىٰ أَوْ كَانُوا عُنًىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ - آل عمران: ١٥٦.

♦ وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ - آل عمران: ١٦٨.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ - الملك: ١٠.

عاشرا: من أغراض (لو) التعلل والاعتذار الكاذب وذلك في الآيات التالية:

♦ قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ - آل عمران: ١٦٧.

♦ وقال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ قُلْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ - الأنعام: ١٤٨.

♦ وقال الله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴿١٥٧﴾ - الأنعام: ١٥٧.

♦ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ - الأنفال: ٣١.

♦ وقال الله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ - إبراهيم: ٢١.

♦ وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ النحل: ٣٥.

♦ وقال الله تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ - المؤمنون: ٢٤.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ - يس: ٤٧.

♦ وقال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ - الصافات: ١٦٨، ١٦٩.

♦ وقال الله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ - الزمر: ٥٧.

♦ وقال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ - فصلت: ١٤.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ - الزخرف: ٢٠.

♦ وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ - الأحقاف: ١١.

المطلب الثالث: حذف جواب (لو)

قال الإمام أبو حيان: " ويجوز حذف جواب (لو) لدلالة المعنى عليه؛ قال تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النار» أي: لرأيت أمراً عظيماً... " (١)
وقال الإمام الزركشي: " حذف الأجوبة: ويكثر ذلك في جواب (لو)، و(لولا)، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ - الأنعام: ٢٧-، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ - الأنعام: ٣٠-، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُوا مَوْتًا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - سبأ: ٣١-، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ - الأنفال: ٥٠-، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - السجدة: ١٢-، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ - الأنعام: ٩٣-، تقديره في هذه المواضع: لرأيت عجباً أو أمراً عظيماً، أو لرأيت سوء منقلبهم، أو لرأيت سوء حالهم.

والسر في حذفه في هذه المواضع: أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صاراً جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً، فخفف بالحذف خصوصاً مع الدلالة على ذلك. قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التخييم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب، وإنما يحذف لقصد المبالغة؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق كما

(١) ارتشاف الضرب ٤/١٩٠٣

قدر بعض النحويين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية - الرعد: ٣١-، فقال: تقديره: لكان هذا القرآن، وحكاه أبو عمرو الزاهد في الياقوتة عن ثعلب والمبرد، وهو مردود؛ لأن الآية ما سيقت لتفضيل القرآن بل سيقت في معرض ذم الكفار بدليل قوله قبلها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ - الرعد: ٣٠-، وبعدها: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ - الرعد: ٣١-، فلو قدر الخبر: (لما آمنوا به) لكان أشد... " (١)

وقال: " الرابعة: يجوز حذف جوابها للعلم وللتعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ - هود: ٨٠-، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ - الرعد: ٣١-، وهو كثير سبق في باب الحذف على ما فيه من البحث. " (٢)

وقد أتت (لو) التي حذف جوابها في القرآن الكريم داخلة على الماضي وعلى المضارع وعلى (أَنَّ) وصلتها؛ والمواضع التي دخلت فيها على الماضي:

◆ آية السحر؛ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِمْ أَنفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - البقرة: ١٠٢.

قال الإمام السيوطي: " ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه. " (٣)

وقال الإمام الزمخشري: " فإن قلت: كيف أثبت لهم العلم أولاً في قوله (وَلَقَدْ

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/١٨٣، ١٨٤

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٧٢

(٣) تفسير الجلالين ٢٢

عَلِمُوا) على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه: لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه. "(١)

◆ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - البقرة: ١٠٣ -.

قال الإمام السيوطي: " ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. "(٢)

◆ وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّو كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ - التوبة: ٨١ -.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوَّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - النحل: ٤١ -.

◆ وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - العنكبوت: ٤١ -.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ

(١) الكشاف ١٧٣/١

(٢) تفسير الجلالين ٢٢



الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ - العنكبوت: ٦٤.

◆ وقوله تعالى: ﴿فَأَذَانُ لَّهُمْ اللَّهُ الْغَزَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ - الزمر: ٢٦.

والمواضع التي دخلت فيها (لو) التي حذف جوابها على المضارع:

◆ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ - البقرة: ١٦٥.

قال الإمام ابن جزي: " وجواب (لو) محذوف؛ والتقدير: لو يرى الذين ظلموا

أَنَّ القوةَ لله لندموا، ولاستعظموا ما حل بهم. " (١)

◆ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا

وَكُنُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ - الأنعام: ٢٧.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا

قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ - الأنعام: ٣٠.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ

إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ

وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ يَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِيرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ - الأنعام: ٩٣.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٩٣، ٩٢/١

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمَّ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ - الأنفال: ٥٠.

♦ وقوله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ - الأنبياء: ٣٩.

♦ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ - الشعراء: ١١٣.

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ - السجدة: ١٢.

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ - سبأ: ٣١.

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ - سبأ: ٥١.

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ - الواقعة: ٧٦.

♦ وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ - التكاثر: ٥.

والمواضع التي دخلت فيها (لو) التي حذف جوابها على (أن) وصلتها:

♦ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَىٰ اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ - التوبة: ٥٩.



قال الإمام السيوطي: " وجواب (لو): لكان خيرا لهم. " (١)

♦ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠) - هود:

..٨٠.

قال الإمام أبو حيان: " ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ﴾ قال ذلك على سبيل التفجع، وجواب (لو) محذوف كما حذف في: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ - الرعد: ٣١، وتقديره: لفعلت بكم وصنعت. " (٢)

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَٰ بِهٖ

الْمَوْءِقُ ﴾ - الرعد: ٣١.

♦ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّو أَنتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١١٤) -

المؤمنون: ١١٤.

قال الإمام أبو السعود: " والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه؛ أي: لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بموجبه ولم تخلدوا إليها. " (٣)

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ

أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٤) - القصص: ٦٤.

(١) تفسير الجلالين ٢٥٠

(٢) البحر المحيط ١٨٨/٦

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٥٣/٦



المطلب الرابع: مجيء (لو) الامتناعية للمستقبل

الأصل في (لو) الشرطية الامتناعية أن تستعمل للماضي وهو الغالب فيها؛ لأنها تدل على امتناع تحقق جزائها لامتناع شرطها بعد أن استبان ذلك، وتستعمل للمضارع الذي تبين امتناعه، وبعضهم يصرف معناه إلى الماضي. أما المستقبل فهو غيب؛ وغالبا لا دلالة على امتناع الشرط والجزاء فيه، ولكن أحيانا أو قليلا تستخدم (لو) للمستقبل حين يُجْزَم بامتناع الشرط والجزاء؛ فينزل المستقبل الممتنع التحقق منزلة الماضي غير الواقع، وتكون (لو) فيه دالة على أنه غير واقع.

وغالبا ما يكون استخدام (لو) للمستقبل من الله تعالى الذي يعلم الغيب ومنه الممتنع في المستقبل؛ فيفيدنا أن هذا لن يقع في المستقبل لا الشرط ولا الجزاء، وإنما هو أمر فرضي أي: تخيلي لما لن يقع لأن الله علم أنه لن يقع، وأراد أن يعلمنا به. قال الإمام ابن عقيل: " فصل لو

(لو حرف شرط في مضى ويقل... إيلاؤها مستقبلا لكن قبل)

لو تستعمل استعمالين... الثاني: أن تكون شرطية، ولا يليها غالبا إلا ماض معنى؛ ولهذا قال: لو حرف شرط في مضى، وذلك نحو قولك: لو قام زيد لقيت، وفسرها سيبويه بأنها: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وفسرها غيره بأنها: حرف امتناع لامتناع؛ وهذه العبارة الأخيرة هي المشهورة، والأولى الأصح، وقد يقع بعدها ما هو مستقبل المعنى؛ وإليه أشار بقوله: ويقل إيلاؤها مستقبلا؛ ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ - النساء:

وقال الإمام السيوطي: " (لو) شرط للماضي غالبا، وقد ترد للمستقبل ك(إن)،
وخرَجَ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا﴾ -
النساء: ٩-... (٢)

وأیضا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ - الأنعام: ٢٨- ردا على
تمني الكفار المراد إلى الدنيا الوارد في الآية السابقة ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ - الأنعام: ٢٧-.

قال الإمام ابن عطية: " وقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ إخبار عن أمر لا يكون كيف
كان يوجد، وهذا النوع مما استأثر الله بعلمه، فإن أعلم بشيء منه علم وإلا لم يتكلم
فيه. (٣)

وأرى أن (لو) تستعمل للمستقبل للدلالة على امتناع تحققه إما لإخبار علام
الغيوب بذلك كالأية السابقة، وإما لدلالة الحال كآية ﴿لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ حيث إن هؤلاء الأوصياء لا يظهر أنهم سيتركون ذرية ضعافا
كالموصى عليهم، فيقال لهم: افترضوا أنكم ستتركون ذرية صغارا ضعافا تموتون
وتتركونهم أترضون أن تؤكل حقوقهم وأموالهم! إنكم لن ترضون بذلك فلا ترضوا

(١) شرح ابن عقيل ٤/٤٧: ٥١

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢/٥٦٦

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٢٨٢، ٢٨٣



ذلك لأبناء إخوانكم. وهذا على سبيل الفرض.

بخلاف (إن) فإنها لا تفيد الامتناع، فحين يراد الدلالة على جملة شرطية ممتنعة الوقوع في المستقبل يؤتى بـ(لو) لتدل بصيغتها على امتناع الشرط ومن ثم امتناع الجواب.

فمثلاً؛ يصح أن نقول: لو لم يأت يوم القيامة لما تمت عدالة الجزاء. لأننا ننتيقن أن هذا غير واقع، وإنما هذا الكلام على سبيل الفرض. وتقول لإنسان: إن تذاكر تتجج، ولو قلت له: لو تذاكر تتجج؛ فأنت قد جزمت أنه لن يذاكر ولن ينجح؛ لأن (لو) – بخلاف (إن) – تدل على الامتناع؛ فلذا غالباً تستخدم في الماضي الذي تحقق امتناعه.

حين قال الله – سبحانه وتعالى- لسيدنا موسى – عليه السلام-: ﴿ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ﴾ - الأعراف: ١٤٣-، (إن) أعطته احتمال أن يستقر الجبل أو لا؛ لأنها لا تدل على الامتناع، بخلاف لو قال له: لو استقر مكانه فسوف تراني، لدلت بصيغتها على الامتناع، ولجزمتم له قبل النظر إلى الجبل أنه لا أمل في الرؤية، ولكن هذا ليس مراداً، وإنما المراد أن ينظر إلى الجبل وهو على أمل.

وبهذا يتبين أن (لو) بخلاف (إن) لكل منهما استعماله، الأولى تدل على امتناع شرطها، والثانية تدل على احتمالها – في المستقبل-.

ويتبين دقة القرآن الكريم في استخدام كل منهما في مكانه.



المبحث الثاني: (لو) الشرطية غير الامتناعية

تخرج (لو) الشرطية عن بابها لتأتي غير امتناعية؛ وذلك في كل موضع سبقت فيه بالواو العاطفة على محذوف تقديره: (على كل حال) أو (في كل الأحوال)، ف(لو) هذه خرجت من أن تكون حرف امتناع الجواب لامتناع الشرط إلى كونها تفيد أن المذكور قبلها ثابت في كل الأحوال حتى في الحال التي ذُكرت معها (لو). وتجيء (لو) هنا تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل أو الخبر قبلها، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل أو الخبر المذكور قبلها في كل حال، حتى في هذه الحال -المذكورة بعد (لو)- التي لا تناسب الفعل أو الخبر قبلها.

عَبَّرَ عنها بعض النحويين بـ[(لو) بمعنى إن في المستقبل]، و[(لو) التي هي حرف شرط للمستقبل غير جازم].

قال الإمام ابن هشام: " الثاني من أقسام لو: أن تكون حرف شرط في المستقبل إلا أنها لا تجزم... وكون (لو) بمعنى (إن) قاله كثير من النحويين في نحو: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ - يوسف: ١٧-، ﴿ يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَلِمَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ - الصف: ٩ -، ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ - المائدة: ١٠٠-، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ - البقرة: ٢٢١-، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ - الأحزاب: ٥٢-، ... " (١)

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٣٤٤، ٣٤٨

وقال: " خاصة (لو) فرض ما ليس بواقع واقعا، ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع، وخاصة (إن) تعليق أمر بأمر مستقبل محتمل ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال...

والحاصل أن الشرط متى كان مستقبلا محتملا وليس المقصود فرضه الآن أو فيما مضى فهي بمعنى (إن)، ومتى كان ماضيا أو حالا أو مستقبلا ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى فهي الامتناعية. " (١)

وقال الإمام الأشموني: " فصل لو: اعلم أن لو تأتي على خمسة أقسام: ... الخامس: أن تكون شرطية وهي المرادة بهذا الفصل، وهي على قسمين: امتناعية، وهي للتعليق في الماضي، وبمعنى (إن) وهي للتعليق في المستقبل... وأما التي بمعنى (إن) فقد تقدم أنها تصرف الماضي إلى المستقبل، وإذا وقع بعدها مضارع فهو مستقبل المعنى. " (٢)

وقال الإمام أبو حيان: " وقد قررنا في نحو هذا التركيب أن (لو) تأتي منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيحا على الحالة التي يظن أنها لا تدرج فيما قبلها. "

وقال الإمام أبو السعود: " ﴿وَلَوْ أَعَجَبْتُمْ﴾ - البقرة: ٢٢١ - قد مر أن كلمة (لو) في أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه؛ فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره، بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٣٤٩

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٩٦،٨٢،٨١،٧٥/٤

من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية؛ لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى؛ ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم أنها لاستقصاء الأحوال على وجه الإجمال؛ كأنه قيل: لو لم تعجبكم ولو أعجبتمكم، والجملة في حيز النصب على الحالية من ﴿مُشْرِكَةٍ﴾؛ إذ المأل: ولأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها إياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الإعجاب وموجبات الرغبة فيها؛ أي على كل حال، وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيهها على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى. (١)

وقد أتت (لو) شرطية غير امتناعية في المواضع التالية في القرآن الكريم:

◆ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَن ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ - البقرة: ١٧٠.

قال الإمام أبو حيان: " ﴿أُولُو كَأَن ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الهمة للاستفهام المصحوب بالتوبيخ والإنكار والتعجب من حالهم، وأما الواو بعد الهمة، فقال الزمخشري: الواو للحال، ومعناه: أيتبعونهم، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب؟ وقال ابن عطية: الواو لعطف جملة كلام على جملة، لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا: نتبع آباءنا ولو كانوا لا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٢١/١

يعقلون، فقررنا على التزام هذا، أي هذه حال آبائهم. انتهى كلامه. وظاهر قول الزمخشري أن الواو للحال، مخالف لقول ابن عطية إنها للعطف، لأن واو الحال ليست للعطف.

والجمع بينهما أن هذه الجملة المصحوبة بلو في مثل هذا السياق، هي جملة شرطية. فإذا قال: اضرب زيدا ولو أحسن إليك، المعنى: وإن أحسن، وكذلك: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، ردوا السائل ولو بشق تمرة، المعنى فيها: وإن. وتجيء (لو) هنا تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال، حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل، ولذلك لا يجوز: اضرب زيدا ولو أساء إليك، ولا أعطوا السائل ولو كان محتاجا، ولا ردوا السائل ولو بمائة دينار، فإذا تقرر هذا فالواو في (ولو) في المثل التي ذكرناها عاطفة على حال مقدر، والعطف على الحال حال، فصح أن يقال: إنها للحال من حيث أنها عطفت جملة حالية على حال مقدر، والجملة المعطوفة على الحال حال، وصح أن يقال: إنها للعطف من حيث ذلك العطف، والمعنى: والله أعلم إنكار اتباع آبائهم في كل حال، حتى في الحالة التي لا تناسب أن يتبعوا فيها، وهي تلبسهم بعدم العقل وعدم الهداية. ولذلك لا يجوز حذف هذه الواو الداخلة على (لو)، إذا كانت تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها. وإن كانت الجملة الواقعة حالا فيها ضمير يعود على ذي الحال، لأن مجيئها عارية من الواو يؤذن بتقييد الجملة السابقة بهذه الحال، فهو ينافي استغراق الأحوال حتى هذه الحال، فهما معنيان مختلفان، والفرق ظاهر بين: أكرم



زيدا لو جفاك، أي: إن جفاك، وبين أكرم زيدا ولو جفاك. (١)

◆ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا مَآئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ [سورة البقرة: ٢٢١].

قال الإمام أبو حيان: "ولو أعجبتكم لو: هذه بمعنى إن الشرطية، نحو: «ردوا السائل ولو بظلف شاة محرق» (٢). والواو في: ﴿وَلَوْ﴾ للعطف على حال محذوفة، التقدير: خير من مشركة على كل حال ولو في هذه الحال، وقد ذكرنا أن هذا يكون لاستقصاء الأحوال، وأن ما بعد (لو) هذه إنما يأتي وهو مناف لما قبله بوجه ما، فالإعجاب مناف لحكم الخيرية، ومقتض جواز النكاح لرغبة الناكح فيها. (٣)

◆ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَوْتَدَىٰ بِهِ﴾ - آل عمران: ٩١-

قال الإمام أبو حيان: وقال: "و(لو) هنا هي بمعنى (إن) الشرطية، لا (لو) التي هي لما كان سيقع لوقوع غيره، لأن (لو) هنا معلقة بالمستقبل، وهو: فلن يقبل، وتلك معلقة بالماضي....

(١) البحر المحيط في التفسير ١٠٣/٢، ١٠٤.

(٢) مسند أحمد ١٢٩/٤٥ رقم ٢٧١٥٢ باقي مسند الأنصار حديث أم جبيد - رضي الله عنها.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٤١٨/٢

والذي يقتضيه هذا التركيب وينبغي أن يحمل عليه: أن الله تعالى أخبر أن من مات كافرا لا يقبل منه ما يملأ الأرض من ذهب على كل حال يقصدها، ولو في حالة الافتداء به من العذاب، لأن حالة الافتداء هي حال لا يمتن فيها المفتدي على المفتدى منه، إذ هي حالة قهر من المفتدى منه للمفتدي، وقد قررنا في نحو هذا التركيب أن: لو تأتي منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيحا على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها، كقوله: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس»^(١) و«ردوا السائل ولو بظلف محرق»^(٢)، كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغي أن يؤتى بها، لأن كون السائل على فرس يشعر بغناه فلا يناسب أن يعطى، وكذلك الظلف المحرق لا غنى فيه، فكان يناسب أن لا يرد السائل به، وكذلك حالة الفداء يناسب أن يقبل منه ملء الأرض ذهبا، لكنه لا يقبل. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ - يوسف: ١٧-، لأنهم نفوا أن يصدقهم على كل حال، حتى في حالة صدقهم، وهي الحالة التي ينبغي أن يصدقوا فيها. فلفظ: (ولو) هنا لتعميم النفي والتأكيد له. وقد ذكرنا فائدة مجيئها. ^(٣)

◆ وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ - النساء: ٧٨-.

(١) عن زيد بن أسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: أعطوا السائل وإن جاء على فرس الموطأ ٥/١٤٥٠ رقم ٣٦٥٣ كتاب الجامع باب الترغيب في الصدقة
(٢) مسند أحمد ٤/٤٤٠ رقم ٢٧٤٥ من مسند القبائل حديث حواء جدة عمرو بن معاذ رضي الله عنها
(٣) البحر المحيط في التفسير ٣/٢٥٦

◆ وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ كَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْيَسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ - النساء: ١٢٩ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ - النساء: ١٣٥ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرِ ﴾ - المائدة: ١٠٠ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٤) - المائدة: ١٠٤ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ فَيَقْسِمَانِ بِاللّٰهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ - المائدة: ١٠٦ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ - الأنعام: ١٥٢ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولُو كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ (٨٨) - الأعراف: ٨٨ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨) - الأنفال: ٨ -

◆ وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ تُعَفَّىٰ عَنْكُمْ فَعَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ - الأنفال: ١٩ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ - التوبة: ٣٢ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣) - التوبة: ٣٣ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣) - التوبة: ١١٣ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ - يونس: ٤٢ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ - يونس: ٤٣ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨٢) - يونس: ٨٢ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٩٧) - يونس: ٩٦، ٩٧ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ - يوسف: ١٧ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) - يوسف: ١٠٣ -

♦ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا ﴾

الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ - الإسراء: ٨٨.

◆ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِي

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ - الكهف: ١٠٩.

◆ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

أَجْتَمَعُوا لَهُمْ﴾ - الحج: ٧٣.

◆ وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ - النور: ٣٥.

◆ وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ - الشعراء: ٣٠.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبِغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ - لقمان: ٢١.

◆ وقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ

أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ - الأحزاب: ٥٢.

◆ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ

مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ - فاطر: ١٨.

◆ وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ

شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ - الزمر: ٤٣.

- ◆ وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤) - غافر: ١٤ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ - الزخرف: ٢٤ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ - المجادلة: ٢٢ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ - الحشر: ٩ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ - الصف: ٨ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩) - الصف: ٩ -
- ◆ وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) ﴿وَلَوْ لَقِيَ مَعَاذِيرَهُ﴾ (١٥) - القيامة: ١٥، ١٤ -



المبحث الثالث: لو للتمني

تجيء (لو) لإفادة تمني ما بعدها؛ أي: طلب شيء في المستقبل مرغوب ولكنه ممتع، وفي التعبير بـ(لو) دلالة على امتناع تحقق ما بعدها.

ويكون معناها كـ(ليت)، ويصح أن تحل محلها، وأرى أن في التعبير بـ(لو) للتمني إشعار بشدة وأهمية ذلك التمني، لأن (لو) بخلاف ليت تنتظر جوابا وثمرة، فليست مجرد تمني، وإنما تمني لشيء له ثمار، فقولك: لو أن لي مالا، أقوى من قولك: ليت لي مالا، إذ على الأول ينتظر جوابا؛ يصح أن يكون تقديره: فأوسع على أهلي وأصدق وأحج و...، بخلاف (ليت) لا تنتظر جوابا.

يرى بعض العلماء أنها (لو) الامتناعية أشربت معنى التمني، وعند بعضهم: إنها خرجت من أن تكون امتناعية؛ إذ لا جواب لها كـ(لو الامتناعية)، وحين تجاب تجاب بالفاء كـ(ليت)، ثم إن معناها مثل (ليت)؛ فهي للتمني شيء في المستقبل كـ(ليت)، لا لامتناع شيء في الماضي لامتناع ما يستلزمه كـ(لو).

وتجاب بالمضارع الدال على الاستقبال المسبوق بالفاء، وقد لا يذكر لها جواب.

قال الإمام ابن هشام: " والرابع: أن تكون للتمني؛ نحو: لو تأتيني فتحدثني،

قيل: ومنه: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾ -الشعراء: ١٠٢-؛ أي: فليت لنا كرة، ولهذا نصب

﴿فَنَكُونُ﴾ في جوابها، كما انتصب ﴿فَأَفُوزَ﴾ في جواب ليت في: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ

مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ - النساء: ٧٣-...

واختلف في (لو) هذه؛ فقال ابن الضائع وابن هشام: هي قسم برأسها لا تحتاج

إلى جواب كجواب الشرط، ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب (ليت)، وقال بعضهم: هي لو الشرطية أشربت معنى التمني؛ بدليل أنهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوب بعد الفاء وجواب باللام...

وقال ابن مالك: هي (لو) المصدرية أغنت عن فعل التمني، وذلك أنه أورد قول الزمخشري: وقد تجيء (لو) في معنى التمني في نحو: لو تأتيني فتحدثني، فقال: إن أراد أن الأصل وددت لو تأتيني فتحدثني فحذف فعل التمني لدلالة (لو) عليه فأشبهت (ليت) في الإشعار بمعنى التمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح، أو أنها حرف وضع للتمني ك(ليت) فممنوع لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل التمني كما لا يجمع بينه وبين (ليت)" (١)

وقال الإمام أبو حيان: " وإذا أشربت (لو) معنى التمني، فنص شيخنا ابن الضائع، وأبو مروان بن هشام على أنها لا جواب لها ك (جواب الامتناعية)، ويجوز أن تجاب بالفاء، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ -البقرة: ١٦٧-، وهي إذ ذاك قسم برأسه، والصحيح أنها الامتناعية، ويجوز أن يجاب بالفاء... " (٢)

وقال: "... فلو كانت (لو) موضوعة للتمني ك (ليت) لساوتها في امتناع ذكر فعل التمني معها، فكان قول القائل: "تمنيت لو تفعل" غير جائز، كما أن "تمنيت ليتك تفعل" غير جائز...

وأما قول الزمخشري: إن (لو) س (٣) تجيء في معنى التمني فهو قول النحويين،

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٣٥٢، ٣٥١

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب ١٩٠٣/٤

(٣) أي عند سيبويه

ولا يعنون أنها وُضعت دالةً على التمني، وإنما المعنى أنها تُشرب معنى التمني، فنُجاب بما نُجاب به (ليت) من الفاء المنصوب بعدها المضارع بإضمار (أن)، وإذا أُشربت معنى التمني فهي (لو) التي هي حرفٌ لما كان سيقع لوقوع غيره، وهي المعبر عنها عند معظم النحويين بأنها حرف امتناع لامتناع، وليست قسمًا موضوعًا للتمني، إنما تُشربه على سبيل المجاز، فكأنك نطقت بـ (ليت)، ولذلك جمعت العرب بين (لو) وبين جوابها بالفاء لإشرابها معنى (ليت)، وبين جوابها الذي لها بحق أصل الوضع... وأما دعواه أن (لو) في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ هي المصدرية فلا نعلم أحدًا ذهب إلى ذلك غير هذا الرجل، بل هي عندهم الامتناعية أُشربت معنى التمني، وجوابها محذوف. وكذلك في قوله: ﴿لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ - الزمر: ٥٨-، وكثيرًا ما يُحذف جواب (لو) لدلالة المعنى عليه، وقد بينا ذلك عند الكلام على (لو) الامتناعية. " (١)

وقال الإمام السيوطي: " " ترد (لو) شرطية.... وللتمني وهي التي يصلح موضعها (ليت) نحو: ﴿قَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ - الشعراء: ١٠٢-، ولهذا نصب الفعل في جوابها. " (٢)

وقد أتت (لو) للتمني في القرآن الكريم في الآيات التالية:

(١) التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٦٠/٣: ١٦٢

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٥٤٥/٢

◆ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مِّمَّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾ - البقرة: ١٦٧ -.

قال الإمام السيوطي: " ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَتَّبَرًا مِّمَّنْهُمْ ﴾ أي المتبوعين ﴿ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾ اليوم، و{لو} للتمني، و{نتبرأ} جوابه. " (١)

◆ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٨) - الزمر: ٥٨ -.

◆ وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٤) - الشعراء: ١٠٢ -.

المبحث الرابع: (لو) المصدرية

قال الإمام ابن عقيل: " لو تستعمل استعمالين؛ أحدهما: أن تكون مصدرية، وعلامتها: صحة وقوع (أن) موقعها؛ نحو: وددت لو قام زيد؛ أي: قيامه. " (١)
وقال الإمام ابن هشام: " (لو) على خمسة أوجه: ...
والثالث: أن تكون حرفا مصدريا بمنزلة (أن) إلا أنها لا تنصب، وأكثر وقوع هذه بعد ود أو يود، نحو: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ - القلم: ٩-، ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ - البقرة: ٩٦-... وأكثرهم لم يثبت ورود (لو) مصدرية، والذي أثبتته الفراء وأبو علي وأبو البقاء والتبريزي وابن مالك.

ويقول المانعون في نحو: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ إنها شرطية وإن مفعول ﴿يُودُّ﴾ وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوفان؛ والتقدير: يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك. ولا خفاء بما في ذلك من التكلف.... ويشكل عليهم دخولها على (أن) في نحو ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ - آل عمران: ٣٠-، وجوابه أن ﴿لَوْ﴾ إنما دخلت على فعل محذوف مقدر بعد ﴿لَوْ﴾ تقديره: تود لو ثبت أن بينها" (٢)

وقال الإمام السيوطي: " ترد (لو) شرطية.... ومصدرية: وهي التي يصلح موضعها (أن) المفتوحة، وأكثر وقوعها بعد (ود) ونحوه؛ نحو: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

(١) شرح ابن عقيل ٤٧/٤

(٢) مغني اللبيب ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١

أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴿ - البقرة: ١٠٩، ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ ﴾ - البقرة: ٩٦، ﴿ يَوَدُّ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي ﴾ - المعارج: ١١؛ أي: الرد والتعمير والافتداء. " (١) وقد وردت (لو) المصدرية في القرآن الكريم في المواضع التالية:

قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ - البقرة: ٩٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ - البقرة: ١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ - آل عمران: ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ﴾ - آل عمران: ٦٩.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٤٢) - النساء: ٤٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ - النساء: ٨٩.

وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ - النساء: ١٠٢.

وقوله تعالى: ﴿ زُبَيْمًا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢) - الحجر:

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/٥١٠

٢- . وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْكَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُوْكَ عَنۢ أُنْبِيَآئِكُمْ ﴾ - الأحزاب: ٢٠- .

وقوله تعالى: ﴿ وَوَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُوْنَ ﴾ - الممتحنة: ٢- .

وقوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيَوْمٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ﴾ - المعارج: ١١ .

وقوله تعالى: ﴿ وَذُوْا لَوْ يُدْهِنُ فَيُدْهِنُوْكَ ﴾ - القلم: ٩- .

تعقيب:

أتت (لو) في الآيات السابقة مصدرية؛ أي: تقول هي وما بعدها بمصدر، ويصح أن يقع موضعها (أن). وعبر القرآن بـ(لو) ولم يعبر بـ(أن) ليدل على أن الكلام بعدها ممتنع الوقوع، وهو ما تفيدته (لو)، كما يظهر في الآيات السابقة.
والله أعلم.



الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته وبفضله تتم الصالحات، له الحمد والشكر، لا أحصي ثناء عليه، هو - سبحانه وتعالى- كما أثنى على نفسه، والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرفهم محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وبعد؛

فبإلطف الله تعالى وكرمه تم هذا البحث، وكان من أبرز نتائجه:

١- (لو) حرف امتناع لامتناع؛ أي: (امتناع الجواب لامتناع الشرط) على أن يراد بالجواب المقصود منه وحقيقته ومراد قائله منه لا مجرد ظاهر اللفظ، وهذا هو مفهوم كلام سيبيويه: "حرف لما كان سيقع لوقوع غيره" فقوله: " كان سيقع " أي: إنه لم يقع أي: امتنع وقوعه؛ أي: إن الجزاء ممتنع.

٢- الأصل في (لو) أن تستعمل للماضي، وقد تأتي للمضارع، وتأتي قليلا للمستقبل حين يُجْزَم بامتناع الشرط والجزاء؛ فينزل المستقبل الممتنع التحقق منزلة الماضي غير الواقع، وتكون (لو) فيه دالة على أنه غير واقع، وغالبا ما يكون استخدام (لو) للمستقبل من الله تعالى الذي يعلم الغيب ومنه الممتنع في المستقبل؛ فيفيدنا أن هذا لن يقع في المستقبل لا الشرط ولا الجزاء، وإنما هو أمر فرضي أي: تخييلي لما لن يقع لأن الله علم أنه لن يقع، وأراد أن يعلمنا به.

٣- خاصية (لو) فرض أمور لم تقع أو غير واقعة، وتدلل على امتناع شرطها، بخلاف (إن) للشرط في المستقبل فيها احتمال وقوع شرطها ولا تدل بصيغتها على امتناعه.

٤- (لو) التي خاطب الله تعالى بها العباد أتت في القرآن لأغراض تقررها وتدلل عليها؛ وهي: ذكر حقائق، والرد على شبهات ومزاعم باطلة، والحث على تدارك ما فات وإصلاح الأخطاء، والاعتبار بما فات الآخرين ليتجنبه المخاطبون واللاحقون، والإعلام أن ما لم يفعله الله كان لحكم ومنافع، والإخبار

بأمور غيبية لا تصل إليها عقولنا وأراد الله تجليتها لنا. أما (لو) المحكية على لسان الأنبياء فقد أتت لغرضين: الاستعطاف، والإنكار. وأما (لو) المحكية على لسان الكافرين والمنافقين فقد أتت للحسرة وهي التي تفتح عمل الشيطان، وأنت للتلعل والاعتذار الكاذب.

٤- تأتي (لو) مذكورا جوابها وهو الغالب، وتأتي محذوفا جوابها لظهوره، أو لقصد التهويل ولتذهب النفس في تصوره كل مذهب.

٥- الأصل في (لو) أن تكون شرطية امتناعية؛ أي حرف يدل على امتناع جوابها لامتناع شرطها، وتخرج إلى معان أخرى: استقصاء الأحوال، التمني، المصدرية.

٦- لو الشرطية غير الامتناعية هي المسبوقة بالواو العاطفة على محذوف تقديره: (على كل حال) أو (في كل الأحوال)، وخرجت (لو) هذه من أن تكون حرف امتناع الجواب لامتناع الشرط إلى كونها تفيد أن الحكم المذكور قبلها ثابت في كل الأحوال حتى في الحال التي ذُكرت معها (لو).

٧- تجيء (لو) لإفادة تمني ما بعدها؛ أي: طلب شيء في المستقبل مرغوب ولكنه ممتنع، وفي التعبير بـ(لو) دلالة على امتناع تحقق ما بعدها، ويكون معناها كـ(ليت)، ويصح أن تحل محلها، إلا أن في التعبير بـ(لو) للتمني إشعار بشدة وأهمية ذلك التمني، لأن (لو) بخلاف (ليت) تنتظر جوابا وثمرة، فليست مجرد تمني، وإنما تمني لشيء له ثمار.

٨- تأتي (لو) مصدرية، وعلامتها أن يصلح موضعها (أن) المصدرية، وإنما عبّر بـ(لو) ولم يعبر بـ(أن) ليدل على أن الكلام بعدها ممتنع التحقق وهو ما تفيدته (لو). وتأتي (لو) المصدرية بعد الفعل (وَدَّ) ومشتقاته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله أولاً وآخراً



فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: التفسير وعلوم القرآن:

- ١- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام محمد بن محمد بن مصطفى أبي السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام عبد الله بن عمر البياضوي (ت: ٦٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٤- بحر العلوم للإمام أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) - تحقيق: د/ محمود مطرجي - دار الفكر - بيروت
- ٥- البحر المحيط في التفسير للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) - تحقيق: صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - ١٤٢٠هـ.
- ٦- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه - الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- ٧- تأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) - تحقيق: د/ مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- ٨- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن جُزَيِّ (ت: ٧٤١هـ) - دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥هـ.
- ٩- تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)- دار الحديث - الطبعة الأولى.
- ١٠- الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م.
- ١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ١٢- فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ١٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٧هـ.
- ١٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)- دار التفسير- جدة - الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥ م
- ١٥- محاسن التأويل للإمام جمال الدين محمد بن محمد سعيد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)- تحقيق: محمد باسل- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
- ١٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن غالب ابن عطية

الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.

١٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٨- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه للإمام مكي بن أبي طالب الأندلسي (ت: ٤٣٧هـ)- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي- مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة- الطبعة الأولى- ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)- تحقيق: صفوان عدنان- دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه:

١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه (صحيح البخاري) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)- دار الشعب- القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (صحيح مسلم) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)- دار الجيل- بيروت- ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)- تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

٤- الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) - تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي -
نشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م
رابعا: كتب النحو والمعاجم:

- ١- ارتشاف الضرب من لسان العرب للإمام أثير الدين محمد بن يوسف الشهير
بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) - تحقيق: رجب عثمان محمد - مكتبة
الخانجي بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
- ٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف
بن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) - دار الجيل - بيروت - الطبعة الخامسة
١٩٧٩م
- ٣- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل للإمام أبي حيان الأندلسي محمد بن
يوسف (ت: ٧٤٥هـ) - تحقيق: د/ حسن هنداوي - دار القلم - دمشق (من ١ إلى
٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيلية - الطبعة الأولى.
- ٤- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك للإمام محمد بن علي
الصبان (ت: ١٢٠٦هـ) - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - المكتبة التوفيقية.
- ٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك
للإمام أبي الحسن علي بن محمد الأشموني (ت: ٩٢٩هـ) - تحقيق: عبد الحميد
السيد محمد عبد الحميد - المكتبة الأزهرية للتراث
- ٦- شرح ابن عقيل للإمام بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت: ٧٦٩هـ) - دار الفكر -
دمشق - الطبعة الثانية ١٩٨٥م - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٧- القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:
٨١٧هـ) - ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان -
الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م - حَقَّقَ بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي

- ٨- الكتاب لإمام النحاة سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ) - تحقيق: أ/
عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي بالقاهرة- الطبعة الثالثة
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي (ت: ٩١١هـ) - تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة التوفيقية.
- ١٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام
الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) - تحقيق: د/ مازن المبارك، محمد علي حمد الله-
دار الفكر - بيروت- الطبعة السادسة ١٩٨٥م
- ١١- مفتاح العلوم ١٢١ للإمام أبي يعقوب سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكاكي
(ت: ٦٢٦هـ) - ط دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م- تحقيق: نعيم زرزور.



فهرس محتويات البحث

| | |
|------|--|
| ٢٣١٥ | ملخص البحث: |
| ٢٣١٩ | مقدمة |
| ٢٣٢١ | المبحث الأول: (لو) الامتناعية |
| ٢٣٢٢ | المطلب الأول: التعريف بـ (لو) |
| ٢٣٢٨ | ثانيا: شرط (لو) |
| ٢٣٣٠ | ثالثا: جواب لو |
| ٢٣٣٢ | المطلب الثاني: أغراض (لو) الامتناعية |
| ٢٣٧٧ | المطلب الثالث: حذف جواب (لو) |
| ٢٣٨٣ | المطلب الرابع: مجيء (لو) الامتناعية للمستقبل |
| ٢٣٨٦ | المبحث الثاني: (لو) الشرطية غير الامتناعية |
| ٢٣٩٦ | المبحث الثالث: لو للتمني |
| ٢٤٠٠ | المبحث الرابع: (لو) المصدرية |
| ٢٤٠٣ | الخاتمة والنتائج |
| ٢٤٠٥ | فهرس المصادر والمراجع |
| ٢٤١٠ | فهرس محتويات البحث |